

حال السلف

في شهر رمضان المبارك

د. كامل صبحي صلاح





«حال السلف
في شهر رمضان المبارك»

أ.د. كامل صبحي صلاح
أستاذ الفقه وأصوله
٢٠\ شعبان \ ١٤٤٥هـ - ١\٣\٢٠٢٤م



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن من نعم الله تبارك وتعالى على عباده توفيقه لهم لاستثمار مواسم الطاعات والخيرات والبركات، وإن من هذه المواسم الجليلة العظيمة شهر رمضان المبارك، والذي يُعد صيامه ركنًا من أركان الإسلام العظيم.

فشهر رمضان شهر مبارك كله من أوله إلى آخره، بل كل لحظة منه فيها من البركات والخيرات العظيمات التي تعود على العباد بالخير الكثير والأجر الكبير، لذا يجب أن يُستثمر هذا الشهر حق الاستثمار بعناية وأهمية كبيرة.

حيث أن شهر رمضان المبارك هو شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن وتدارسه، وشهر العتق والغفران، وشهر الصدقات والإحسان، وهو شهرٌ تُفتح فيه أبواب الجنات، وتضاعف فيه الحسنات، وتُقال فيه العثرات، شهر تُجاب فيه الدعوات، وتُرفع فيه الدرجات، وتُغفر فيه السيئات. شهر رمضان المبارك تُفتح فيه أبواب الجنات - نسأل الله العلي الأعلى أن يجعلنا من أهلها ووالدينا -، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، وفيه ليلة هي من خير الليالي، وهي خير من ألف شهر، فمن حُرم خيرها فقد حرم، والموفق من وفق لقيامها، والقيام بواجبها وحقها. ففي الحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«أتاكم شهرُ رمضانَ، شهرٌ مبارَكٌ، فرض اللهُ عليكم صيامَه، تفتحُ فيه أبوابُ الجنةِ، وتُغلَق فيه أبوابُ الجحيم، وتُغَل فيه مَرَدَةُ الشياطينِ، وفيه ليلةٌ هي خيرٌ من ألف شهرٍ،

من حُرِمَ خيرَها فقد حُرِمَ»؛ «أخرجه النسائي (٤/١٢٩)، صحيح الجامع، الألباني (٥٥)».

إذًا فشهر رمضان المبارك هو شهر يجود الله سبحانه وتعالى فيه على عباده بأنواع الخيرات والبركات، ويُجزل فيه لأوليائه الأعطيات، وهو شهر فرض الله تبارك وتعالى صيامه، فصامه رسولنا صلى الله تعالى عليه وسلم، وأمر الناس بصيامه، وأخبر عليه الصلاة والسلام أن من صامه إيمانًا واحتسابًا غفر الله تعالى له ما تقدم من ذنبه، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«مَن صامَ رَمَضانَ، إيمانًا واحْتِسابًا، غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذنبه» «أخرجه البخاري،(٣٨) واللفظ له، ومسلم (٧٦٠)».

وأخبر عليه الصلاة والسلام أن من قامه إيمانًا واحتسابًا غفر الله تعالى له ما تقدم من ذنبه، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«مَن قامَ رَمَضانَ إيمانًا واحْتِسابًا، غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ..» «أخرجه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩)».

كما أن شهر رمضان المبارك كان معظمًا حتى عند الأمم السابقة، حيث فرض الله جل وعلا عليهم صيامه، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183].

وإن من المقرر المعلوم أن شهر رمضان المبارك يختص بكثرة الطاعتوالقربات والعبادات، قال الإمام ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى: «وكان من هديه صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان: الإكثار من أنواع العبادات، فكان جبريل رضي الله عنه يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان، يكثر فيه الصدقة، والإحسان، وتلاوة

القرآن والصلاة والذكر، والاعتكاف. وكان يخص رمضان من العبادة ما لا يخص غيره به من الشهور، حتى إنه كان ليواصل فيه أحيانًا ليوفر ساعات ليله ونهاره على العبادة». «زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم الجوزية (30/2)».

وإن العمل الصالح في شهر رمضان المبارك، تُضاعف فيه الحسنات، ويتضاعف أجر العامل فيه، لقوله عليه الصلاة والسلام: «فإن عُمْرَةً في رَمَضانَ تَقْضِي حَجَّةً -أوْ حَجَّةً مَعِي»؛ «أخرجه البخاري (١٨٦٣)، أخرجه مسلم (١٢٥٦)».

ولقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أجود الناس، وأجود ما يكون في شهر رمضان المبارك، ففي الحديث عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: « كانَ النبي صلى الله عليه وسلم أجْوَدَ الناسِ، وأَجْوَدُ ما يكونُ في رَمَضانَ، حِينَ يَلْقاهُ جِبْرِيلُ، وكانَ جِبْرِيلُ عليه السلام يَلْقاهُ في كُل لَيْلَةٍ مِن رَمَضانَ، فيُدارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أجْوَدُ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ...»؛ «أخرجه البخاري(٣٥٥٤)».

وفي الحديث عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «.. إن جِبْرِيلَ كانَ يُعَارِضُنِي القُرْآنَ كُل سَنَة مَرةً، وإنه عَارَضَنِي العَامَ مَرتَيْنِ، ولَا أُرَاهُ إلا حَضَرَ أجَلِي، وإنكِ أولُ أهْلِ بيْتي لَحَاقًا بي، فَبَكَيْتُ، فَقالَ: أَمَا تَرْضَيْنَ أنْ تَكُونِي سَيدَةَ نِسَاءِ أهْلِ الجَنةِ -أوْ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ؟ فَضَحِكْتُ لذلكَ»؛ «أخرجه البخاري (٣٦٢٣، ٣٦٢٤)، ومسلم (٢٤٥٠)».

- قال ابن رجب الحنبلي: قال الشافعي رضي الله عنه: «أُحب للرجلِ الزيادةَ بالجودِ في شهر رمضان؛ اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولحاجةِ الناس فيهِ إلى مصالحهم، ولتشاغل كثيرٍ منهم بالصومِ والصلاةِ عن مكاسبهم»، فالجود في شهر رمضان المبارك من أهل الجود والكرم مطلوب.

ولقد كان الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم جميعًا يتنافسون في فعل الخيرات والقربات، ففي الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: «أمَرَنا رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَومًا أن نتَصَدَّقَ فوافَقَ ذلكَ مالًا عِندي، فقُلتُ: اليَومَ أسبِقُ أبا بَكرٍ إن سَبَقتُه يَومًا، فجِئتُ بنِصفِ مالي، فقالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ما أبقَيتَ لأهلِكَ؟ قُلتُ: مِثلَه، وأتى أبو بَكرٍ بكُلِ ما عِندَه، فقالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ما أبقَيتَ لأهلِكَ؟ فقالَ: أبقَيتُ لَهُمُ اللهَ ورَسولَه، فقُلتُ: لا أُسابِقُكَ إلى شَيءٍ أبَدًا»؛ «الحاكم، المستدرك على الصحيحين (١٥٣٠)، صحيح على شرط مسلم».

وهذا الحديث وغيره من الأحاديث الصحيحة الدالة على

المسارعة لفعل الطاعات والعبادات والقربات، وتكون هذه المسارعة آكد في مواسم الخيرات، كشهر رمضان المبارك،

حيث كانوا يحرصون عليها أشد الحرص وأكمله، وهذا ما سيوضح فيما يلي:

أولًا: التعرض لنفحات رحمة الله تبارك وتعالى:

فإن مما كان يحرص عليه السلف الصالح في شهر رمضان المبارك التعرض لنفحات رحمة الله تبارك وتعالى، حيث إن شهر رمضان المبارك نفحة من نَفَحَاتِ رحمة الله جل جلاله التي ينبغي التعرض لها، ففي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«افعَلوا الخيرَ دَهرَكُمْ، وتَعَرضُوا لِنَفَحاتِ رَحْمَةِ اللهِ، فإن للهِ نَفَحاتٍ من رحمتِهِ، يُصِيبُ بِها مَن يَشاءُ من عبادِهِ، وسَلوا اللهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْراتِكُمْ، وأَنْ يُؤَمِنَ رَوْعاتِكُم»؛ «أخرجه الطبراني (١/٢٥٠) (٧٢٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٦٢/٣)، الألباني، السلسلة الصحيحة (١٨٩٠) حسن».



ثانيًا: حالهم مع قدوم شهر رمضان المبارك:

فلقد كان السلف الصالح يفرحون بقدوم شهر رمضان المبارك، ويستقبلونه أحسن استقبال، ويدعون الله تبارك وتعالى ستة أشهر أن يبلغهم إياه، ومن أقوالهم بهذا الخصوص:

- كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول عندما يقدم شهر رمضان «مرحبًا بمطهرنا من الذنوب».

- وقال معلى بن الفضل: «كانوا يدعون الله تعالى ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أخرى أن يتقبله منهم».

- وقال يحيي بن أبي كثير: «كان من دعائهم: اللهم سلمني إلى رمضان وسلم لي رمضان، وتسلمه مني متقبلًا».

«لطائف المعارف، للإمام ابن رجب الحنبلي».

- وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ليس الصيام» -أي في حقيقته- من الطعام والشراب وحده، ولكنه من الكذب والباطل، واللغو والحلف.

- ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من كان همه ما يدخل إلى جوفه كانت قيمته ما يخرج منه.

- وقال ابن عبد البر: كفى بقوله سبحانه وتعالى: «الصوم لي» فضلًا للصيام على سائر العبادات.

- وعن مجاهد قال: خصلتان من حفظهما سلم له صومه: الغيبة والكذب.



- وقيل للأحنف بن قيس رحمه الله تعالى -عندما كبر في السن-: «إنك شيخ كبير وإن الصيام يُضعفك».. فقال: إني أُعده لسفر طويل، والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه.

- وقيل لبشر: إن قومًا يتعبدون ويجتهدون في رمضان فقط، قال: بئس القوم لا يعرفون لله حقًا إلا في رمضان، إن الصالح الذي يتعبد ويجتهد السنة كلها.





ثالثًا: حالهم مع القرآن الكريم:

لقد كان السابقون والسالفون من خيار هذه الأمة المباركة، يجتهدون أيما اجتهاد لاغتنام مواسم الخيرات والبركات والطاعات والقربات، حيث علموا منزلة شهر رمضان المبارك ومكانته، فاجتهدوا في الأعمال الصالحة، وسارعوا إلى التزود من الطاعات والخيرات، وشمروا فيه عن ساعد الجد طمعًا في مرضاة الله عز وجل، حتى أنهم كانوا يدعون الله تبارك وتعالى ستة أشهر أن يُبلغهم شهر رمضان المبارك، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم. وكانوا رحمهم الله تعالى جميعًا يُقبلون على تلاوة القرآن الكريم في شهر رمضان المبارك، بل الإكثار منه في نهارهم وليلهم، حيث يُوصف شهر رمضان المبارك بأنه شَهْر القُرْآن الكريم، وكان شَهر شَعبَان يُسمى شَهْر القُراء؛ لِتفرغهم لِقراءة القرآن، استعدادًا لِشهر رمضان المبارك. وكان العلماء يُقْبِلُون على قراءة القرآن الكريم في شهر رمضان المبارك، ويَترُكون تعليم الناس؛ لكونه شَهر القرآن الكريم، ولذلك فإنه يُستحب الإكثار من تلاوة القرآن الكريم في الأوقات المفضلة كشهر رمضان المبارك؛ وما ذاك إلا اغتنامًا للزمان والمكان، ولقد كان حال السلف الصالح هو الاجتهاد في قراءة القرآن الكريم بل الإكثار من قراءته، والبكاء عند قراءته أو سماعه خشوعًا وإخباتًا لله تبارك وتعالى، ومن هذه النماذج المشرقة ما يلي:

- لقد كان عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه يختم القرآن الكريم كل يوم مرة.
- وكان سعيد بن جبير يختم القرآن الكريم في كل ليلتين.
- وكان الإمام مالك بن أنس إذا دخل شهر رمضان المبارك يفر من الحديث ومجالسة أهل العلم، ويُقبل على تلاوة القرآن الكريم من المصحف.
- وكان الزهري إذا دخل شهر رمضان قال: إنما هو قراءة القرآن، وإطعام الطعام.



- وكان إبراهيم النخَعِي يَخْتِمِ القرآن الكريم في شهر رمضان في كل ثلاث، فإذا دَخَلَت العَشْر خَتَمَ في ليلتين. «رواه عبد الرزاق في مصنفه».

- وكان سفيان الثوري إذا دخل شهر رمضان المبارك ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن الكريم.

- وكان قتادة يختم القرآن الكريم في سبع، وإذا جاء شهر رمضان ختم في كل ثلاثٍ، فإذا جاء العشر ختم كل ليلةٍ؛ «رواه أبو نُعيم في حلية الأولياء».

- وكان محمد بن إسماعيل البخاري يختم في شهر رمضان في النهار كل يوم ختمة، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليالٍ بختمة.

- ويقول يونس بن يزيد: كان ابن شهاب إذا دخل شهر رمضان، فإنما هو تلاوة القرآن، وإطعام الطعام.

- وكان الإمام البخاري رحمه الله تعالى إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، يجتمع إليه أصحابه فيصلي بهم، ويقرأ في كل ركعة عشرين آية، وكذلك إلى أن يختم القرآن. وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن، فيختم عند الإفطار كل ليلة ويقول: عند كل الختم؛ دعوة مستجابة. «صفة الصفوة، لابن الجوزي، (170/4)».

- وروي عن الإمام الشافعي أنه كان يختم في شهر رمضان المبارك ستين ختمة سوى ما يقرأ في الصلاة، وفي كل شهرٍ ثلاثين ختمة، يَختمه في صلاة، وليس قراءة. «صفة الصفوة، لابن الجوزي، (255/2)».

- وكان الزهري إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث، ومجالسة أهل العلم، ويُقبل على تلاوة القرآن من المصحف.

- وكان الأسود بن يزيد يختم القرآن الكريم في شهر رمضان في كل ليلتين، وفي غير شهر رمضان في كل ست ليال. «رواه أبو نُعيم في حلية الأولياء».

- وكان وكيع بن الجراح يقرأُ القرآن الكريم في شهر رمضان في الليل ختمة وثلثًا، ويصلي مع ذلك اثنتي عشرة ركعة من الضحى، ويصلي من الظهر إلى العصر.

- ولم يكن من هدي السلف الصالح هذ القرآن الكريم هذ الشعر دون فهم وتدبر، حيث كانوا يتأثرون بكلام الله عز وجل ويحركون به القلوب والنفوس. فعن إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت فضيلًا يقول ذات ليلة وهو يقرأ سورة محمد، وهو يبكي ويردد هذه الآية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: 31]، وجعل يقول: ونبلو أخباركم، ويردد وتبلوا أخبارنا، إن بلوت أخبارنا فضحتنا وهتكت أستارنا، إنك إن بلوت أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا، ويبكي.

ومن المعلوم أن قراءة القرآن الكريم بخشوع والاستماع إليه من الغير يؤثر في القلوب والنفوس، فلقد كان نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يتلو القرآن الكريم بنفسه، ويسمعه أحيانًا من غيره، ففي الحديث عن

عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قالَ لي النبي صَلى اللهُ عليه وسلمَ: اقْرَأْ عَلَيَ، قُلتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قالَ: فإني أُحِب أنْ أسْمَعَهُ مِن غَيرِي، فَقَرَأْتُ عليه سُورَةَ النسَاءِ، حتى بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُل أُمة بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 41]، قالَ: أمسِكْ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ»؛ «أخرجه البخاري، (4582)، ومسلم (800) باختلاف يسير».

رابعًا: مسألة ختم قراءة القرآن الكريم في أقل من ثلاث.

قد يُقال كيف يُختم القرآن الكريم في أقل من ثلاث، مع ورود النهي عن ذلك، فيُجاب عن هذا الإشكال بأن ورود النهي عن قراءة القرآن الكريم في أقل من ثلاث يُحمل على المداومة على ذلك، أما ما يكون في الأوقات المفضلة كشهر رمضان المبارك؛ خصوصًا الليالي التي يُطلب فيها ليلة القدر، أو الأماكن المفضلة كمكة المكرمة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن الكريم؛ اغتنامًا لفضيلة الزمان والمكان، وبهذا الخصوص يقول ابن رجب الحنبلي: «وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان؛ خصوصًا الليالي التي يُطلب فيها ليلة القدر، أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن؛ اغتنام للزمان والمكان، وهذا قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأمة، وعليه يدل عمل غيرهم». «لطائف المعارف، لابن رجب الحنبلي، (ص:171)».



خامسًا: حالهم مع قيام الليل:

لقد كان حال السلف الصالح مع قيام الليل عامة وفي شهر رمضان المبارك خاصة حالًا عظيمًا وكبيرًا، وكيف لا يكون كذلك وقيام الليل دأب الصالحين، وشرف المؤمنين، وتجارة الفائزين، ففي الحديث عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه، أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «شرفُ المؤمنِ قيامُ الليلِ وعزهُ استغناؤهُ عن الناسِ» «السفاريني الحنبلي، شرح ثلاثيات المسند (١/٦٠٧)، إسناده حسن».

ولقد حث نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على قيام الليل، وحذر وعاب على من ترك قيام الليل، ففي الحديث عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: «قالَ لي رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: يا عَبْدَ اللهِ، لا تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ، كانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيامَ اللَّيْلِ!»؛ «أخرجه البخاري (١١٥٢)»، ومن هذه الأخبار الواردة عنهم في هذا الخصوص:

- ففي الحديث عن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «بِت عِنْدَ خالَتي مَيْمُونَةَ لَيْلَةً، فَقامَ النبي صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا كانَ في بَعْضِ اللَّيْلِ، قامَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَتَوَضَّأَ مِن شَن مُعَلَّقٍ وُضُوءًا خَفِيفًا - يُخَفِّفُهُ عَمْرٌو ويُقَلِّلُهُ جِدًّا -ثُمَّ قامَ يُصَلِّي، فَقُمْتُ، فَتَوَضَّأْتُ نَحْوًا مِمَّا تَوَضَّأَ، ثُمَّ جِئْتُ، فَقُمْتُ عن يَسارِهِ، فَحَوَّلَنِي، فَجَعَلَنِي عن يَمِينِهِ، ثُمَّ صَلَّى ما شاءَ اللَّهُ، ثُمَّ اضْطَجَعَ، فَنامَ حتى نَفَخَ، فأتاهُ المُنادِي يَأْذَنُهُ بالصلاةِ، فَقامَ معهُ إلى الصلاةِ، فَصَلَّى ولَمْ يَتَوَضَّأْ قُلْنا لِعَمْرٍو: إن ناسًا يقولونَ: إن النبي صلى الله عليه وسلم تَنامُ عَيْنُهُ ولا يَنامُ قَلْبُهُ قالَ عَمْرٌو: سَمِعْتُ عُبَيْدَ بنَ عُمَيْرٍ يقولُ: إن رُؤْيا الأنْبِياءِ وحْيٌ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: 102]؛ «أخرجه البخاري (٨٥٩)، أخرجه مسلم (٧٦٣) باختلاف يسير».

- وفي الحديث عن أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه قال: «صُمنا، فلم يُصَل صلى الله عليه وسلم بنا، حتى بقي سبعٌ من الشهرِ، فقام بنا حتى ذهب ثلثُ الليلِ، ثم لم يقُمْ بنا في السادسةِ، وقام بنا في الخامسةِ حتى ذهب شطرُ الليلِ، فقلنا: يا رسولَ اللهِ لو نفلتَنا بقيةَ ليلتِنا هذه، فقال: إنه من قام مع الإمامِ حتى ينصرِفَ كُتِب له قيامُ ليلةٍ، ثم لم يُصَل بنا حتى بقِي ثلاثٌ من الشهرِ، فصلى بنا في الثالثةِ، ودعا أهلَه ونساءَه، فقام بنا حتى تخوفنا الفلاحَ، قلتُ: وما الفلاحُ؟ قال: السحورُ» «أخرجه أبو داود (١٣٧٥)، والترمذي (٨٠٦)، والنسائي (١٣٦٤)، وابن ماجه (١٣٢٧)، وأحمد (٢١٤١٩) باختلاف يسير، الألباني، صلاة التراويح (١٦) إسناده صحيح».

- وعن السائب بن يزيد قال: أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبي بن كعب وتميمًا الداري رضي الله عنهما أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة في رمضان، فكان القارئ يقرأ بالمئين، حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر.

- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: «كُنَّا نَنْصَرِفُ فِي رَمَضَانَ، فَنَسْتَعْجِلُ الْخَدَمَ بِالطَّعَامِ مَخَافَةَ الْفَجْرِ» «موطأ الإمام مالك».

- وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلي من الليل ما شاء الله تعالى حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة، ثم يقول لهم الصلاة الصلاة، ويتلو: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه:132].

- وكان عبدالله ابنُ عُمَر رضي الله تعالى عنه يقرأ هذه الآية: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر:9]، قال: «ذاك عثمان بن عفان رضي الله عنه»، وقال ابنُ أبي حاتم: «وإنما قال ابنُ عمر ذلك؛ لكثرة صلاةِ أمير المؤمنين عُثمان بالليل وقراءته، حتى إنه ربما قرأ القُرآن في ركعة».



- وعَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّهُ كَانَ يَقُومُ فِي بَيْتِهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَإِذَا انْصَرَفَ النَّاسُ مِنَ الْمَسْجِدِ أَخَذَ إِدَاوَةً مِنْ مَاءٍ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ لَا يَخْرُجُ مِنْهُ حَتَّى يُصَلِّيَ فِيهِ الصُّبْحَ؛ «أخرجه البيهقي في السنن الكبرى».

- وعن علقمة بن قيس قال: بت مع عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ليلةً فقام أول الليل ثم قام يصلي، فكان يقرأ قراءة الإمام في مسجد حيه يرتل ولا يراجع، يسمع من حوله ولا يرجع صوته، حتى لم يبق من الغلس إلا كما بين أذان المغرب إلى الانصراف منها ثم أوتر.

- وعَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: كَانُوا يَقُومُونَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فِي شَهْرِ رَمَضَانَ بِعِشْرِينَ رَكْعَةً»، قَالَ: وَكَانُوا يَقْرَءُونَ بِالْمِئِينِ، أَيْ: (بِالسُّوَرِ الَّتِي يَزِيدُ كُلٌّ مِنْهَا عَلَى مِائَةِ آيَةٍ)، وَكَانُوا يَتَوَكَّؤُونَ عَلَى عِصِيِّهِمْ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضى الله عنه مِنْ شِدَّةِ الْقِيَامِ؛ «أخرجه البيهقي في السنن الكبرى».

- وقال الفضيل بن عياض: إذا لم تقدر على قيام الليل، وصيام النهار، فاعلم أنك محروم مكبل، كبلتك خطيئتك.

- وقال إبراهيم بن شماس: كنتُ أعرِف أحمد بن حنْبل وهو غُلام يُحيي الليل.

- وقال الحسن البصري: إذا لم تقدر على قيام الليل، ولا صيام النهار، فاعلم أنك محروم، قد كبلتك الخطايا والذنوب.

- ولقد صلى كثير من السلف صلاة الصبح بوضوء العشاء عشرين سنة، ومنهم من صلى كذلك أربعين سنة. قال بعضهم: منذ أربعين سنة ما أحزنني إلا طلوع الفجر. قال ثابت: كابدت قيام الليل عشرين سنة، وتنعمت به عشرين سنة أخرى، أفضل قيام الليل وسطه.



- قال أبو عثمان النهدي: تضيفت أبا هريرة سبعًا، فكان هو وامرأته وخادمه يُقسمون الليل ثلاثًا، يصلي هذا ثم يوقظ هذا.

- وقال الحسن البصري: لم أجد شيئًا من العبادة أشد من الصلاة في جوف الليل.

- وقال الحافِظ ابن كثير عن ليْل عمر: كان يصلي بالناس العشاء، ثم يدخُل بيْتَه فلا يزال يصلي إلى الفجْر.

- وقال الحسين: تزوج عثمان بن أبي العاص امرأةً من نساء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: واللهِ، ما نكحتُها حين نكحتُها رغبةً في مال ولا ولد، ولكن أردتُ أن تُخْبِرني عن ليل عمر.

- ويقول نافع عن ابن عمر رضِي الله عنهم أجْمعين: إنه لما قرأ قولَه تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة:284]، بكى بكاءً شديدًا، وأخذ يردد: والله، إن هذا الإحْصاء لشديد، والله إن هذا الإحصاء لشديد.

- وكان ابن مسعود إذا هدأتِ العيون، قام، فيُسمَع له دوي كدوي النحل حتى الصبح.

- وكان علِي بن أبي طالب إذا حضر وقْت الصلاة، يتزلزل ويتلون وجهُه، فقيل له: "ما لك يا أميرَ المؤمنين؟"، قال: "جاء وقت أمانةٍ عرضَها الله على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحمِلْنها، وأشفقن منها، وحملتُها".

- وقيل للحسن: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها؟ قال: لأنهم خَلَوا بالرحمن، فألبسَهم نورًا من نورِه.

- وقال أبو النضر إسحاق بن إبراهيم: كنت أسمع وقْع دموع سعيد بن عبدالعزيز - يقصد إمام أهل الشام التنوخي - على الحصير في الصلاة.



- وقال أبو عبدالرحمن الأسدي: قلت لسعيد بن عبدالعزيز: ما هذا الذي يعرض لك في الصلاة؟ فقال: "يا ابن أخي، وما سؤالُك عن ذلك؟" قلتُ: لعل الله أن ينفعني به، قال: "ما قُمْتُ إلى الصلاة إلا مثلتْ لي جهنم".

- وكانت امرأة أبي محمد حبيب الفارسي تقول له بالليل: قد ذهب الليل، وبين أيدينا طريق بعيد، وزادنا قليل، وقوافل الصالِحين قد سارت قُدامَنا، ونحن قد بقينا.

- وقال ابن وهب: رأيتُ سفيان في الحرَم بعد المغرب صلى، ثم سجد سجدةً، فلم يرجع حتى نودي للعشاء.

- وقال أحدهم:

تَزَودْ مِنَ التقْوَى فَإِنكَ لا تَدْرِي = إِذَا جَن لَيْلٌ هَلْ تَعِيشُ إِلَى الفَجْرِ
فَكَمْ مِنْ صَحِيحٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ عِلةٍ = وَكَمْ مِنْ سَقِيمٍ عَاشَ حِينًا مِنَ الدهْرِ
وَكَمْ مِنْ صَبِيٍ يُرْتَجَى طُولُ عُمْرِهِ = وَقَدْ نُسِجَتْ أَكْفَانُهُ وَهْوَ لا يَدْرِي

- وقال رجلٌ لإبراهيم بن أدهم: إني لا أقْدِر على قيام الليل، فصف لي دواء، فقال: "لا تعْصِه بالنهار، وهو يقيمُك بين يديْه في الليل، فإن وقوفك بين يديْه في الليل من أعْظم الشرف، والعاصي لا يستحق ذلك الشرف.

- ويقول نافع عن ابن عمر رضِي الله عنهم أجْمعين: "إنه لما قرأ قولَه تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: 284]، بكى بكاءً شديدًا، وأخذ يردد: والله، إن هذا الإحْصاء لشديد، والله إن هذا الإحصاء لشديد".

- وكان أبو إسحاق السبيعي يقول: "يا معشر الشباب، جدوا واجتهدوا، وبادروا قوتكم، واغتنِموا شبيبتكم قبل أن تعجزوا، فإنه قل ما مرت علي ليلة إلا قرأت فيها بألف آية".



- وكان عبدالواحد بن يزيد يقول لأهله في كل ليلة: "يا أهلَ الدار، انتبهوا – أي: من نومكم - فما هذه – أي: الدنيا - دار نوم، عن قريب يأكلُكم الدود".

- وقال محمد بن يوسف: كان سفيان الثوري - رحِمه الله تعالى - يُقيمنا في الليل ويقول: "قوموا يا شباب، صلوا ما دمتم شبابًا، إذا لم تصلوا اليوم، فمتى؟!".

- وكان بعض الصالحين يقف على بعض الشباب العباد إذا وضع طعامهم، ويقول لهم: لا تأكلوا كثيرًا، فتشربوا كثيرًا، فتناموا كثيرًا، فتخسروا كثيرًا".

- وقال رجل للحسَن البصري: أعياني قيام الليل، فقال: "قيدتْك خطاياك".

- وقالت امرأة مسروق بن الأجْدع: "واللهِ، ما كان مسروق يُصْبح من ليلة من الليالي إلا وساقاه منتفِخَتان من طول القيام"، وكان - رحِمه الله تعالى - إذا طال عليه الليل وتعب، صلى جالسًا ولا يترك الصلاة، وكان إذا فرِغ من صلاتِه يزحف – أي: إلى فراشه - كما يزحف البعير!

- وكان ثابت البناني قد حببَتْ إليه الصلاة، فكان يقول: "اللهم إن كنتَ أذِنت لأحدٍ أن يصلي لك في قبره، فائذن لي أن أصلي في قبري".

- وقال أبو الدرداء: "لوْلا ثلاث ما أحببتُ العيش يومًا واحدًا: الظمأ لله بالهواجر، والسجود لله في جوْف الليل، ومجالسة أقْوام ينتقون أطايِبَ الكلام كما يُنتقى أطايب الثمر".

- وقال عبدالله بن داود: "كان أحدهم إذا بلغ أربعين سنة، طوى فراشه"؛ أي: كان لا ينام طول الليل.

- وقال أحمد بن حرب: "يا عجبًا لِمن يعرف أن الجنة تُزَين فوقه، وأن النار تسعر تحته، كيف ينام بيْنهما؟!".

- وقال معْمر: "صلى إلى جنبي سليمان التيْمي - رحِمه الله تعالى - بعد العشاء الآخرة، فسمعتهُ يقرأ في صلاتِه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:1]، حتى أتى على هذه الآية: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الملك:27]، فجعل يرددها حتى خف أهل المسجد وانصرفوا، ثم خرجتُ إلى بيْتي، فلما رجعتُ إلى المسجد لأؤذن الفجر، فإذا سليمان التيْمي في مكانه كما تركتُه البارحة، وهو واقف يردد هذه الآية لم يجُاوزها: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

- وكان أحد الصالحين يصلي حتى تتورم قدماه، فيضربُها ويقول: "يا أمارة بالسوء، ما خلقتِ إلا للعبادة".

- وصلى سيد التابعين: سعيد بن المسيب - رحِمه الله تعالى - الفجْر خمسين سنة بوضوء العِشاء، وكان يسرُد الصوم.

- وقال يزيد بن أبان الرقاشي - رحِمه الله تعالى -: "إذا نِمْتُ فاستيقظْتُ، ثم عُدتُ في النوم، فلا أنام اللهُ عيني".

- وكان عبدالعزيز بن أبي رواد - رحِمه الله تعالى - يُفرَش له فراشه لينام عليْه بالليل، فكان يضَع يده على الفراش فيتحسسه ثم يقول: "ما ألْيَنك! ولكن فِراش الجنة ألين منك"، ثم يقوم إلى صلاته.

- وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى: "ربما أقوم خَمْسَ ليالٍ متوالية بآيةٍ واحدة، أُرددُها وأطالب نفسي بالعمل بما فيها، ولولا أن الله تعالى يمن علي بالغفلة، لما تعديت تلك الآية طول عمري؛ لأن لي في كل تدبر علمًا جديدًا، والقُرآن لا تنقضي عجائبُه".

وكيف لا يحرص السلف الصالح على القيام في الثلث الأخير من الليل وهو من أفضل أوقات الليل؛ ففيه تَصْفو فيه النفوسُ، وتَطيبُ فيه العبادةُ، ويُستَجابُ فيه

الدعاءُ، حيث خصه اللهُ تبارك وتعالى بالنزولِ فيه إلى السماءِ الدنيا، وتَفضلَ على عِبادِه فيه، وأفاضَ بالخير على مَن طلَبَه وحرص عليه، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «ينْزِلُ رَبنا تَبارَكَ وتَعالى كُل لَيْلَة إلى السماءِ الدنْيا، حِينَ يَبْقى ثُلُثُ الليْلِ الآخِرُ فيَقولُ: مَن يَدْعُونِي فأسْتَجِيبَ له، مَن يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَن يَسْتَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له»؛ «أخرجه البخاري (٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨)».

سادسًا: حالهم في إطالة قراءة القرآن الكريم في صلاة قيام الليل:

فلقد كان حال السلف الصالح هو إطالة قراءة القرآن الكريم في صلاة قيام الليل، ومن ذلك:

- ففي الحديث عن أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه قال: «صمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقمْ بنا حتى بقِيَ سبعٌ من الشهرِ، فقام بنا حتى ذهب ثلثُ الليلِ، ثم لم يقمْ بنا في السادسةِ ثم قام بنا في الخامسةِ حتى ذهب شطرُ الليلِ أي: نصفُه، فقلنا: يا رسولَ اللهِ لو نَفَّلْتَنا بقيةَ ليلتِنا هذه؟ فقال صلى الله عليه وسلم: إنه مَن قام مع الإمامِ حتى ينصرفَ كُتِبَ له قيامُ ليلة»؛ «أخرجه أبو داود (١٣٧٥)، والترمذي (٨٠٦)، والنسائي (١٦٠٥)، وابن ماجه (١٣٢٧)، وأحمد (٢١٤١٩) باختلاف يسير ابن عثيمين، مجموع فتاوى ابن عثيمين (٢٠/٢١٣)، إسناده صحيح».

- ويقول عبدالرحمن بن هرمز: كان القراء يقومون بسورة البقَرة في ثَمان ركَعات، فإذا قام بِها القراء في اثنتَي عشرةَ ركعة، رأى الناس أنه خفف عنْهم.

- ويقول ابنُ أبي مُليْكة: كنتُ أقومُ بالناس في شهر رمضان، فأقرأُ في الركعة: "الحمد لله فاطر" (46 آية) ونحوَها، ما يبلُغني أن أحدًا يستثْقِل ذلك.

- وكانت امرأة أبي محمد حبيب الفارسي تقول له بالليل: قد ذهب الليل، وبين أيدينا طريق بعيد، وزادنا قليل، وقوافل الصالِحين قد سارت قُدامَنا، ونحن قد بقينا.

- حالهم في حث الأهل والأبناء على قيام الليل:

فلم يكن السلف رحمهم الله تعالى يقتصِرون في إحياء الليل على أنفسهم، بل كانوا يوقظون نساءهم وأبناءهم، اقتداءً برسول الله صلى الله عليْه وسلم. قال ابن رجب



الحنبلي: ولم يكُن النبي صلى الله عليْه وسلم إذا بقي من رمضان عشَرة أيام، يدَع أحدًا من أهلِه يُطيق القيام إلا أقامه.

- وقال سفيان الثوري: أَحب إلي إذا دخل العشر الأواخر أن يَتهجد بالليل، ويَجتهِد فيه، ويُنهِض أهله وولدَه للصلاة إن أطاقوا ذلك.

- وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في سائر الأيام يصلي من الليل ما شاء الله تعالى، حتى إذا كان نصف الليل، أيْقظ أهله للصلاة، ثم يقول لهم: الصلاةَ الصلاة، ويتلو: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتقْوَى﴾ [طه:132].

- وكان طلحة بن مصرف يأمُر نساءَه وخدمه وبناتِه بقيام الليل، ويقول: صلوا ولو ركعَتَين في جوْف الليل، فإن الصلاة في جوْف الليل تحط الأوْزار، وهي من أشْرف أعمال الصالحين.

- وقال إبراهيم بن شماس: كنتُ أعرِف أحمد بن حنْبل وهو غُلام يُحيي الليل.

- وقال إبراهيم بن وكيع: كان أبي يصلي، فلا يبقى في دارِنا أحدٌ إلا صلى، حتى جارية لنا سوداء.



سابعًا: صيام شهر رمضان المبارك إيمانًا واحتسابًا:

فإن مما كان يحرص عليه السلف الصالح صيام شهر رمضان المبارك إيمانًا واحتسابًا، حيث أخبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن من الأسباب الموجبة لمغفرة الذنوب صيام شهر رمضان المبارك إيمانًا واحتسابًا لله تبارك وتعالى، وأن من صامه إيمانًا واحتسابا غفر الله تعالى له ما تقدم من ذنبه، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«مَن صامَ رَمَضانَ، إيمانًا واحْتِسابًا، غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذنبه»، «أخرجه البخاري(٣٨)، واللفظ له، ومسلم (٧٦٠)».

ومعنى (إيمانًا)، أي: إيمانًا بالله عز وجل، وتصديقًا بخبره، وبالأمرِ به، وعالمًا بوجوبِه وحكمه، وخائفًا مِن عقابِ تركِه، جل وعلا.

ومعنى (احتسابًا)، أي: محتسبًا لجزيل الأجر والثواب المترتب على صوم رمضان، ومحتسبًا لجزيل الأجرِ في صومِه، وهذه من صفات أهل الإيمان بالله جل وعلا.

قال الإمام العيني رحمه الله تعالى: (قَوْله: (احتسابًا)، وَإِنَّمَا زَاد هَذِه اللَّفْظَة؛ لِأَن الصوْم هُوَ التقَرب إِلَى الله تعالى، وَالنية شَرط فِي وُقُوعه قربَة)؛ «عمدة القاري، العيني، (10/ 274)».

وقال الإمام البغوي: قوله: "احتسابًا": أي طلبًا لوجه الله تعالى وثوابه».

وقال المباركفوري رحمه الله تعالى: (قال الخطابي: "احتسابًا": أي نية وعزيمة، وهو أن يصومه على معنى الرغبة في ثوابه، طيبة نفسه بذلك، غير كاره له ولا مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه، ولكن يغتنم طول أيامه لعظم الثواب»؛ «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المباركفوري، (6/ 404)».

وفي هذا الحديث المبارك يخبرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن من الأسباب الموجبة لمغفرة الذنوب صيام شهر رمضان المبارك إيمانًا واحتسابًا لله تبارك وتعالى.

والصومُ معناه: (الإمساكُ بِنيةِ التعبدِ عنِ الأَكْلِ والشربِ، وسائِرِ المُفطراتِ، مِن طُلوعِ الفَجرِ إلى غُروبِ الشمسِ).

وتُعد هذه بِشارةً عظيمةً مِن النبي صلى الله عليه وسلم لِمَن وُفق لصيام شهرِ رمَضانَ المبارك كله، وحافظ على صيامه، وجاهد نفسه على الابتعاد عن المفطرات والملذات والشهوات، بمغفرة ذنبه، وعلو منزلته وقدره عند ربه جل وعلا.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: «واعلم أن المؤمن يجتمع له في شهر رمضان جهادان لنفسه: جهاد بالنهار على الصيام، وجهاد بالليل على القيام، فمن جمع بين هذين الجهادين وُفي أجره بغير حساب»، «لطائف المعارف، لابن رجب، (171/1)».

فإن المَرْجُو مِن اللهِ جل وعلا أَنْ يَغفِرَ له ما تقدمَ مِن ذُنوبِه السابقةِ، غيرَ الحُقوقِ الآدميةِ المتعلقةِ بأموالِهم أو أعراضِهم أو أبدانِهم؛ فهذه لا تَسقُطُ إلا بالعفو وتبرئة الذمة؛ فعلى الإنسانِ أَنْ يَطلُبَ المسامحةَ ممن له عليه حق، أو يُؤديَ الحقوقَ إلى أهلها. وقد وقَعَ الجزاءُ هنا بصِيغةِ الماضي «غُفِرَ» مع أن المَغفرةَ تكونُ في المستقبَلِ؛ للإشعارِ بأنه مُتيقنُ الوقوعِ، مُتحققُ الثبوتِ، فضْلًا مِن اللهِ تعالى على عباده.

وقيل: أن المراد بقوله صلى الله عليه وسلم: «غفر له ما تقدم من ذنبه»، أي: ما تقدم من صغائر الذنوب، وليس من كبائرها، وهذا ما عليه جمهور العلماء، استدلالًا بحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«الصلَواتُ الخَمْسُ، والْجُمُعَةُ إلى الجُمُعَةِ، وَرَمَضانُ إلى رَمَضانَ، مُكَفراتٌ ما بيْنَهُن إذا اجْتَنَبَ الكَبائِرَ»، «أخرجه مسلم، (٢٣٣)».

وعلى هذا فلا يكون في الحديث دلالة على مغفرة كبائر الذنوب.



ومن العلماء من أخذ بعمومه، وقال: إن جميع الذنوب تُغفر ولكن بشرط ألا تكون هذه الذنوب موصلة إلى الكفر، فإن كانت موصلة للكفر فلا بد من التوبة الخالصة الصادقة، والرجوع إلى دين الإسلام.





ثامنًا: حالهم في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك:

فإن مما كان يحرص عليه السلف الصالح في شهر رمضان المبارك الاجتهاد في الطاعات والعبادات في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك، اقتداءً برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ففي الحديث عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت:« كانَ النبي صلى الله عليه وسلم إذا دَخَلَ العَشْرُ شد مِئْزَره، وأَحْيا لَيْلَهُ، وأَيْقَظ أَهْلَه»؛ «أخرجه البخاري (٢٠٢٤)».

وفي الحديث كذلك عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت:« كانَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، إذا دَخَلَ العَشْرُ، أَحْيا الليْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَد وَشَد المِئْزَرَ»؛ «أخرجه مسلم (١١٧٤)».

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهدُ في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك ما لا يجتهدُ في غيرها من شهر رمضان، فقد كان يعتكفها في المسجد، وقد ورد عنه -صلى الله عليه وسلم- في حديثٍ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (كانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأوَاخِرَ مِن رَمَضَانَ حتَى تَوَفَاهُ اللَّهُ، ثُمَ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِن بَعْدِهِ)، وذلك لإدراك ليلة القدر، وقد أخفاها الله تبارك وتعالى عن عباده؛ ليجتهدوا في العشر الأواخر بالعبادة، والذِكر، والدُعاء، وليزدادوا قُربًا من ربِهم سبحانه، وقد كان النبيُ صلى الله تعالى عليه وسلم يعتزل نسائه فيها، ويوقظهُنَ للقيام، وينقطعُ عن الدُنيا ومشاغلها، ويتفرغَ للعبادة والطَاعة؛ لأنَ الاعتكاف من أنفع العبادات في إصلاح القلب، والتَخلُص من الهُموم.

- قال الإمام الشافعي: أستحب أن يكونَ اجتهادُه في نهارِها كاجتهادِه في ليلِها.

- وقال الإمام النووي: يُستحب أن يُزاد من العبادات في العشْر الأواخر من رمضان، وإحياء لياليه بالعبادات.

تاسعًا: حالهم في التزين والتطيب واللباس الحسن في ليالي العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك:

فلقد كان السلف الصالح يستحبون (التنظف والتزين والتطيب بالغسل والطيب واللباس الحسن) في ليالي العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك، ومن صور ذلك:

- قال ابن جرير: كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالي العشر الأواخر.
- وكان النخعي: يغتسل في العشر كل ليلة.
- ومن السلف من كان يغتسل ويتطيب في الليالي التي تكون أرجى لليلة القدر، فأمر زر بن حبيش بالاغتسال ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان.
- وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنه إذا كان ليلة أربع وعشرين اغتسل وتطيب ولبس حلة إزار أو رداء، فإذا أصبح طواهما فلم يلبسهما إلى مثلها من قابل.
- وكان أيوب السختياني: يغتسل ليلة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين، ويلبس ثوبين جديدين ويستجمر، ويقول: ليلة ثلاث وعشرين هي ليلة أهل المدينة، والتي تليها ليلتنا يعني البصريين.
- وقال حماد بن سلمة: كان ثابت البناني وحميد الطويل يلبسان أحسن ثيابهما ويتطيبان، ويطيبون المسجد بالنضوح والدخنة في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر.
- وقال ثابت البناني: كان لتميم الداري حلة اشتراها بألف درهم، وكان يلبسها في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر.
- وقال الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى:

فتبين بهذا أنه يستحب في الليالي التي ترجى فيها ليلة القدر التنظف والتزين والتطيب بالغسل والطيب واللباس الحسن، كما يشرع ذلك في الجمع والأعياد، وكذلك يشرع أخذ



الزينة بالثياب في سائر الصلوات، كما قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: 31].

- وقال عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: الله أحق أن يُتزين له.

- وقال الإمام النووي: يُستحب أن يُزاد من العبادات في العشْر الأواخر من رمضان، وإحياء لياليه بالعبادات.

- وقال ابن الجوزي: وقد كان السلف يتأهبون لها، فكان لتميم الداري حلة بألف درهم يلبسها في الليلة التي يرجى أنها ليلة القدر.

- وقال الشاعر:

يَا رِجَالَ الليْلِ جِدوا

رُب صَوْتٍ لا يُرَد

لا يَقُومُ الليْلَ إِلا

مَنْ لَهُ عَزْمٌ وَجِد

عاشرًا: إحياء ليلة القدر:

فإن مما كان يحرص عليه السلف الصالح في شهر رمضان المبارك إحياء ليلة القدر، حيث جعل الله تبارك وتعالى في شهر رمضان المبارك ليلة القدر، والتي هي خير الليالي، وهي خير من ألف شهر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: 1 - 5]، وأخبر نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أن من قام ليلة القدر إيمانًا واحتِسابًا، يُغفر له ما تقدم من ذنوبه، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«مَن قامَ ليلةَ القدْرِ، إيمانًا واحتِسابًا، غُفِرَ لهُ ما تقدمَ من ذنبِه» «أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠)»، وفي رواية: «مَن يَقُمْ لَيْلَةَ القَدْرِ، إيمانًا واحْتِسابًا، غُفِرَ له ما تَقَدمَ مِن ذَنْبِهِ، «أخرجه البخاري (٣٥)، ومسلم (٧٦٠)».

ولذلك تُشرع كثرة دعاء الله تبارك وتعالى في ليلة القدر بقول: (اللهم إنكَ عَفو تُحِب العفوَ، فاعفُ عني)، ففي الحديث عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت: قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أرأَيتَ إنْ عَلِمتُ أي لَيلةٍ ليلةُ القَدرِ، ما أقولُ فيها؟ قال: قولي: اللهم إنكَ عَفو تُحِب العفوَ، فاعفُ عني...»؛ «أخرجه الترمذي (٣٥١٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٧١٢)، وابن ماجه (٣٨٥٠)، وأحمد (٢٥٣٨٤) باختلاف يسير، والألباني في، تخريج مشكاة المصابيح (٢٠٣٧) بإسناد صحيح».

قال الإمام ابن قدامة: ويستحب أن يجتهد فيها في الدعاء ويدعو فيها بما روي عن عائشة أنها قالت يا رسول الله إن وافقتها بم أدعو قال قولي: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني».

وقال الإمام ابن كثير: والمستحب الإكثار من الدعاء في جميع الأوقات، وفي شهر

رمضان أكثر، وفي العشر الأخير منه، ثم في أوتاره أكثر. والمستحب أن يكثر من هذا الدعاء: «اللهم، إنك عَفُو تحب العفو، فاعف عني".

- وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي: يا من ضاع عمره في لا شيء، استدرِكْ ما فاتَكَ في ليلة القدر، فإنها تُحسَب بالعمر... فالمبادرة المبادرة إلى اغتنام العمل فيما بقِيَ من الشهر، فعسى أن يُستدرَك به ما فات من ضياع العمر.

الحادي عشر: أداء العمرة في شهر رمضان المبارك:

وإن مما كان يحرص عليه السلف الصالح في شهر رمضان المبارك أداء العمرة، حيث إن العمرة في شهر رمضان المبارك تعدل حَجةً مع النبي صلى الله عليه وسلم، ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«عُمرةٌ في رمضانَ تعدِلُ حجةً مَعي»؛ «الهيتمي المكي، الزواجر (٢٠٥/١)، صحيح أو حسن».

وفي الحديث عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: «لَمَّا رَجَعَ النبي صلى الله عليه وسلم مِن حَجتِهِ قالَ لِأُم سِنانٍ الأنْصارِيةِ: ما مَنَعَكِ مِنَ الحَجِ؟ قالَتْ: أبو فُلانٍ -تَعْنِي زَوْجَها- كانَ له ناضِحانِ، حَجَ علَى أحَدِهِما، والآخَرُ يَسْقِي أرْضًا لَنا. قالَ: فإنَّ عُمْرَةً في رَمَضانَ تَقْضِي حَجةً -أوْ حَجةً مَعِي»؛ «أخرجه البخاري (١٨٦٣)، أخرجه مسلم (١٢٥٦)».

وفي هذا الحديث أرْشَدَها النبي صلى الله عليه وسلم مُسلياً لها ومخبرًا عن عمَلٍ يعدِلُ في ثوابِه عمَلَ الحج، وهو أنْ تَعتمِرَ في رَمضانَ؛ فإن عُمرةً في رَمضانَ تَعدِلُ في ثوابِها ثَوابَ الحج -أو ثَوابَ حَجةٍ معه صلى الله عليه وسلم، شَك الراوي في ذلك- وليس المرادُ أن العُمرةَ تَقْضي بها فرْضَ الحج أو تقومُ مَقامَه في إسقاطِ الفَرْضِ، وإنْ كان ظاهِرُه يُشعِرُ بذلك، بلْ هو مِن بابِ المُبالَغةِ وإلْحاقِ الناقصِ بالكاملِ؛ للترغيبِ فيه، وهذا نظيرُ ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] تعدِلُ ثُلُثَ القُرآنِ؛ فقراءةُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] تعدِلُ ثوابَ ثُلثِ القُرآنِ، ولكنها لا تُجزِئُ عن قِراءة ثُلُثِ القُرآنِ فِعليا.



الثاني عشر: حالهم في إخفاء أعمالهم خوفًا على أنفسهم:

فإن مما كان يحرص عليه السلف الصالح في شهر رمضان المبارك وفي غيره إخفاء أعمالهم خوفًا على أنفسهم، مما يُدلل على صدقهم وإخلاصهم.

فهذا التابعي الجليل أيوب السختياني يحدث عنه حماد بن زيد فيقول: كان أيوب ربما حدث بالحديث فيرق فيلتفت فيتمخط ويقول: ما أشد الزكام؟ يُظهر أنه مزكوم لإخفاء البكاء.

- وعن محمد بن واسع قال: لقد أدركت رجالًا كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة وقد بل ما تحت خده من دموعه، لا تشعر به امرأته. ولقد أدركت رجالًا يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذي جنبه.

- وكان أيوب السختياني يقوم الليل كله فيخفي ذلك فإذا كان عند الصباح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة.

- وعن ابن أبي عدي قال: صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله، وكان خرازًا يحمل معه غداءه من عندهم فيتصدق به في الطريق، ويرجع عشيًا فيفطر معهم.

- وقال سفيان الثوري: بلغني أن العبد يعمل العمل سرًا، فلا يزال به الشيطان حتى يغلبه فيكتب في العلانية، ثم لا يزال به الشيطان حتى يحب أن يحمد عليه فينسخ من العلانية فيثبت في الرياء.



الثالث عشر: صيام ستة أيام من شهر شوال:

وإن مما كان يحرص عليه السلف الصالح اتمام صيام شهر رمضان المبارك واتباعه بصيام ستة أيام من شهر شوال، لعظيم الأجر والثواب المترتب على ذلك، حيث إن صيام شهر رمضان المبارك يعدل صيام عشرة أشهر، ففي الحديث عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَن صامَ رَمَضانَ ثُمَّ أتْبَعَهُ سِتا مِن شَوالٍ، كانَ كَصِيامِ الدهرِ..»؛ «أخرجه مسلم(١١٦٤)».

وفي الحديث عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَن صام رَمضانَ فشَهرٌ بعَشْرةِ أشهُرٍ، وصيامُ ستةِ أيامٍ بعدَ الفِطرِ، فذلك تَمامُ صيامِ السنةِ..»؛ «أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٢٨٦٠)، وابن ماجه (١٧١٥)، وأحمد (٢٢٤١٢) واللفظ له، شعيب الأرنؤوط، تخريج المسند(٢٢٤١٢)، صحيح».

الرابع عشر: حالهم في تفطير الصائمين وإطعام الطعام في شهر رمضان المبارك:

فلقد كان السلف الصالح رحمهم الله تعالى يحرصون كل الحرص على تفطير الصائمين وإطعام الطعام في شهر رمضان المبارك، لما فيه من عظيم الأجر، وكبير المنفعة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: 8 - 10]، بمعنى: ويُطْعِمون الطعام مع حبهم له وحاجتهم إليه، فقيرًا عاجزًا عن الكسب لا يملك ما يكفيه ويسد حاجته، وطفلًا مات أبوه وهو دون سن البلوغ ولا مال له، وأسيرًا أُسر في الحرب من المشركين وغيرهم، ويقولون في أنفسهم: إنما نحسن إليكم ابتغاء مرضاة الله تبارك وتعالى، وطلب ثوابه، لا نبتغي عوضًا



ولا نقصد حمدًا ولا ثناء منكم. إنا نخاف من ربنا سبحانه وتعالى يومًا شديدًا تَعْبِس فيه الوجوه، وتتقطبُ الجباه مِن فظاعة أمره وشدة هوله.

وفي الحديث عن زيد بن خالد الجهني رضي الله تعالى عنه، أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «مَن فطر صائمًا كان له مِثلُ أجرِه، غيرَ أنه لا ينقصُ مِن أجرِ الصائمِ شيئًا» «السيوطي، الجامع الصغير (٨٨٧٠)، صحيح».

وفي الحديث عن عبدالله بن سلام رضي الله تعالى عنه، أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «أيها الناسُ أفْشوا السلامَ، وأَطعِموا الطعامَ، وصَلوا بالليلِ والناسُ نيامٌ، تَدْخُلوا الجَنةَ بسَلامٍ» «أخرجه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤)، وأحمد (٢٣٧٨٤)، وشعيب الأرنؤوط، تخريج رياض الصالحين (١١٦٦)، صحيح».

- وكان عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما يصوم، ولا يفطر إلا مع المساكين، يأتي إلى المسجد فيصلي ثم يذهب إلى بيته ومعه مجموعة من المساكين، فإذا منعهم أهله عنه لم يتعش تلك الليلة. وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه، أخذ نصيبه من الطعام، وقام فأعطاه السائل، فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفْنَةِ، فيصبح صائمًا ولم يأكل شيئًا.

- وقد قال بعض السلف لأن أدعو عشرة من أصحابي فأطعمهم طعامًا يشتهونه أحب إلي من أن أعتق عشرة من ولد إسماعيل.

- وكان كثير من السلف يؤثر بفطوره وهو صائم منهم عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، وداود الطائي ومالك بن دينار، وأحمد بن حنبل، وكان ابن عمر لا يفطر إلا مع اليتامى والمساكين، وربما علم أن أهله قد ردوهم عنه فلم يفطر في تلك الليلة.

- وكان من السلف من يطعم إخوانه الطعام وهو صائم ويجلس يخدمهم ويروحهم... منهم الحسن وابن المبارك.



- وكان حماد بن أبي سليمان يُفَطر في شهر رمضان خمسَ مائة إنسان، وإنه كان يعطيهم بعد العيد لكل واحد مائة درهم.

- وقال أبو السوار العدوي: كان رجال من بني عدي يصلون في هذا المسجد، ما أفطر أحد منهم على طعام قط وحده، إن وجد من يأكل معه أكل، وإلا أخرج طعامه إلى المسجد فأكله مع الناس وأكل الناس معه.





الخامس عشر: الدعاء والاستغفار بالأسحار:

فإن مما كان يحرص عليه السلف الصالح هو التوجه إلى الله تبارك وتعالى بالدعاء والاستغفار بالأسحار، وهو: الثلث الأخير من الليل، لكونه من أوقات إجابة الدعاء، فوقت ثلث الليل الأخير وقت تنزل الرحمن سبحانه وتعالى، ووقت إجابة الدعوات، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «يَنْزِلُ رَبنا تبارَكَ وتَعالى كُل لَيْلَةٍ إلى السماءِ الدنْيا، حِينَ يَبْقى ثُلُثُ الليْلِ الآخِرُ فيَقولُ: مَن يَدْعُونِي فأسْتَجِيبَ له، مَن يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَن يَسْتَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له»؛ «أخرجه البخاري (٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨)»؛ إذ إن من صفات أهل الإيمان الاستغفار في آخر الليل؛ لأنه مَظِنة القَبول وإجابة الدعاء. قال الله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: 17]؛ أي: هم الذين اتصفوا بالصبر على الطاعات، وعن المعاصي، وعلى ما يصيبهم من أقدار الله تعالى المؤلمة، وبالصدق في الأقوال والأفعال، وبالطاعة التامة، وبالإنفاق سرًّا وعلانية، وبالاستغفار في آخر الليل؛ لأنه مَظِنة القَبول وإجابة الدعاء، وقال الله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: 17 - 19]؛ أي: كان هؤلاء المحسنون قليلًا من الليل ما ينامون، يُصَلون لربهم سبحانه وتعالى قانتين له، وفي أواخر الليل قبيل الفجر يستغفرون الله تبارك وتعالى من ذنوبهم.



السادس عشر: حالهم في صلاة الجماعة:

فإن مما كان يحرص عليه السلف الصالح أداء صلاة الفجر جماعةً في المسجد، فإنه من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله تبارك وتعالى، ففي الحديث عن سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «مَن صلى الفجرَ، فهو في ذِمةِ اللهِ، فلا يَطْلُبَنكُمُ اللهُ بشيءٍ من ذِمتِهِ»؛ «صحيح الجامع (٦٣٤٤)، الألباني، صحيح».

وفي الحديث كذلك عن جندب بن عبدالله رضي الله تعالى عنه، أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «مَن صَلى الصبْحَ فَهو في ذِمةِ اللهِ، فلا يَطْلُبَنكُمُ اللهُ مِن ذِمتِهِ بشَيءٍ، فيُدْرِكَهُ، فَيَكُبهُ في نَارِ جَهَنمَ»؛ «أخرجه مسلم، (657)».

وكذلك قراءة أذكار ما بعد الصلوات الخمس، والحرص على الجلوس في المسجد إلى طلوع الفجر، وهو ما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الفجر. ففي الحديث عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كانَ إذا صَلى الفَجْرَ جَلَسَ في مُصَلاهُ حتى تَطْلُعَ الشمْسُ حَسَنًا»؛ «أخرجه مسلم (٦٧٠)».

وتدل هذه النصوص وغيرها على شغَفهم الشديد بالصلاة، وولعِهم بحضور الجماعة، فقد كان الربيع بن خُثيم رحمه الله تعالى بعد ما سقط شقه - أي: أصابه الشلل النصفي - يهادَى بين الرجُلين في المسجد، وكان أصحابُه يقولون له: يا أبا اليزيد، قد رخص الله لك لو صليت في البيت، فيقول: "إنه كما تقولون، ولكني سمِعْتُه ينادي: حي على الفلاح، فمَن سمع منكم: حي على الفلاح، فليُجِبْه ولو زحفًا، ولو حبواً".

- كان علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه إذا حضر وقْت الصلاة، يتزلزل ويتلون وجهُه، فقيل له: ما لك يا أميرَ المؤمنين؟"، قال: جاء وقت أمانةٍ عرضَها الله على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحمِلْنها، وأشفقن منها، وحملتُها.



- وعن ابن المسيب قال: "ما فاتتْني الصلاة في جماعة منذ أربعين سنة، وما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خَمسين سنة، وما نظرتُ في قفا رجُل في الصلاة منذ خَمسين سنة".

- وقال وكيع: "كان الأعمش قريبًا من سبعين سنة لم تفُتْه التكبيرة الأولى، واختلفتُ إليه قريبًا من ستين سنة، فما رأيتُه يقْضي ركعة واحدة".

- وقال حاتم الأصم: فاتتْني صلاة الجماعة، فعزاني أبو إسحاق البخاري وحْده، ومات لي ولدٌ، فعزاني أكثر من عشَرة آلاف، ولأن مصيبة الدين أهْون عند الناس من مصيبة الدنيا.





السابع عشر: استقبال شهر رمضان المبارك:

قد يقول قائل ويسأل سائل كيف نستقبل شهر رمضان المبارك، لكي يكون حالنا كحال السلف السابقين الصادقين المخلصين؟:

فنقول: نستقبل شهر رمضان المبارك بالدعاء والتوجه إلى الله جل وعلا أن يبلغنا إياه، وأن يُعيننا على صيامه وقيامه، ونستقبل شهر رمضان المبارك بالفرح والسرور والمحبة والتعظيم والإجلال، والعزيمة الصادقة على صيامه وقيامه والمسابقة فيه إلى الخيرات والمبادرة فيه إلى التوبة الصادقة النصوح من سائر الذنوب والسيئات والتناصح والتعاون على البر والتقوى.

نستقبل شهر رمضان المبارك بسلامة القلوب والأنفس والصدور من الغل والحقد والحسد، ومن كل آفات النفوس. نستقبل شهر رمضان المبارك بالمحافظة على الواجبات الشرعية كصلاة الجمعة والجماعات، وترك المنكرات والمحرمات والمخالفات.

نستقبل شهر رمضان المبارك بقيام الليل والتهجد، والوقوف بين يدي الله تبارك وتعالى. نستقبل شهر رمضان المبارك بالتعلق بالقرآن الكريم قراءة وفهمًا وتدبرًا ومدارسةً واكثارًا لملازمة وصحبة القرآن العظيم.

نستقبل شهر رمضان المبارك بتعلم الأحكام الشرعية المتعلقة بالصيام، لنعبد ربنا جل وعلا على بصيرة وعلم.

لا على سفه وجهل. نستقبل شهر رمضان المبارك بالقيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

نستقبل شهر رمضان المبارك بالتزين بحسن الأخلاق الحسنة الفاضلة، في الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.



نستقبل شهر رمضان المبارك بكثرة الصدقات والزكوات والأعطيات ابتغاءً لوجه الله رب البريات.

نستقبل شهر رمضان بتفقد حاجات المكلومين والمستضعفين، وأصحاب الحاجات والمتعففين، والعابدين الزاهدين. نستقبل شهر رمضان المبارك باستثمار كل لحظة منه في طاعة وعبادة، ركعًا وسجدًا لله تبارك وتعالى، تالين كتابه ومعظمين أمره، وخاضعين لحكمه، واقفين ببابه، نرجو رحمته ونخاف عذابه، ونأمل في عفوه وغفرانه ورحمته وجنته، وعتقه من النار. فمن رُحم في شهر رمضان فهو المرحوم، ومن حُرم فهو المحروم، ومن لم يتزود منه لآخرته فهو المذموم الملوم المحروم؛ لذا فإن مما ينبغي للعبد المسلم الموفق، أن يكون على أفضل وأتم حال، وأن يستقبل شهر رمضان المبارك أفضل استقبال، وأعز اقبال، وإن من الأمور النافعة المهمة والتي يجب أن يحرص عليها العبد المؤمن هو دعاء الله تعالى، والتوجه إليه سبحانه أن يبلغه ويعينه على صيامه وقيامه، كما كان سلفنا الصالح -رحمهم الله تعالى - يفعلون ذلك، فلقد كان بعضهم يدعوا الله تعالى ستة أشهر أن يبلغه رمضان، وما ذاك إلا لمكانة شهر رمضان المبارك في قلوبهم ونفوسهم، ولما يمتع به شهر رمضان المبارك من خصائص ليست في غيره من الشهور، فإقبال شهر رمضان المبارك نور وخير وبركة، وإذا كان أول ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك، ينادي مناد كل ليلة يا باغي الخير أقبل، ولا باغي الشر أقصر.

فشهرٌ هذه صفته ومنزلته ومكانته، وهذه بركاته وخيراته ومميزاته وفضائله، فحُق لنا أن نستقبله أجمل وأفضل استقبال، بحيث نعظمه في نفوسنا وقلوبنا، فهو منحة إلاهية ربانية للعباد والخلائق أجمعين.

وإذا لم يحسن الإنسان استقبال شهر رمضان المبارك، فليحسن وداعه.



- قال ابن الجوزي: إن الخيل إذا شارفت نهاية المضمار، بذلت قصارى جهدها لتفوز بالسباق، فلا تكن الخيل أفطن منك، فإنما الأعمال بالخواتيم.. فإنك إذا لم تحسن الاستقبال، لعلك تحسن الوداع.

- وقال الإمام ابن تيمية: العبرة بكمال النهايات، لا بنقص البدايات.

وفي الختام لا ننسى أن للصائم فرحتين فرحةٌ حينَ يفطرُ، وفرحةٌ حينَ يلَقى ربه عز وجل: ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «للصائمِ فرحتانِ: فرحةٌ حينَ يفطرُ، وفرحةٌ حينَ يلَقى ربهُ» «أخرجه البخاري (٧٤٩٢) واللفظ له، ومسلم (١١٥١)».

هذا ما تم ايراده، نسأل الله العلي الأعلى أن ينفع به، وأن يجعله من العلم النافع والعمل الصالح، وأن يُعيننا على صيام شهر رمضان المبارك وقيامه، وأن يجعلنا فيه من المقبولين، ومن عتقائه من النار، ووالدينا أجمعين، والحمد لله رب العالمين.



المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري.
3. صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري.
4. مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني.
5. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني.
6. سنن الترمذي، الحافظ أبو عيسى محمد الترمذي.
7. السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي.
8. السنن، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي.
9. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن ماجه القزويني.

السنن الكبرى، البيهقي.

10- موطأ مالك، الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي.

11- المستدرك على الصحيحين، الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري

12- الجامع الصغير، للإمام جلال الدين السيوطي.

13- المعجم الكبير، للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب الشامي الطبراني.

14- شرح ثلاثيات المسند، للإمام محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي.

15- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للإمام أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني.

16- سير أعلام النبلاء، الإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.



17- صفة الصفوة، الحافظ أبو الفرج بن الجوزي.

18- لطائف المعارف فيما للمواسم من وظائف، للإمام ابن رجب؛ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي.

19- زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر، المعروف بابن القيم الجوزية.

20- الزواجر عن اقتراف الكبائر، للإمام ابن حجر الهيتمي المكي.

21- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني.

22- صحيح الجامع، المحدث محمد ناصر الدين الألباني.

23- السلسلة الصحيحة، المحدث محمد ناصر الدين الألباني.

24- تخريج مشكاة المصابيح، المحدث محمد ناصر الدين الألباني.

25- تخريج رياض الصالحين، شعيب الأرنؤوط.

26- التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.



المحتويات